وقد عرفنا كيف يتعلق بين المتفرجين في قاعة السيرتسم صغار العقول واصحاب الانحراف العيبي والجنون المستتر والطوس الديني والاستعداد الوراثي المفسود فيلقون بانفسهم الى التهلكة اذ يقضي السيرتسم على البقية الباقية من عقولهم المختلة فيضيع السرور فيهم ويهدم التخلخل من بنيانهم ويشتد الميل في كثير منهم الى الموت انتحاراً ويلحق اذاهم بالجمهور كما ثبت من الشواهد التي قدمناها وعرفنا منها ان الجنون السيريني يرتكب جريمة القتل عمداً او بغير عمد فضلاً عن ان جنون الوسيط يزعزع العقول الضعيفة بما يقدم صاحبهُ من الشواهد التي يدعي انهُ رآها بعينه او قام بها بنفسه شواهد من المعجزات والخوارق التي تعجز تلك العقول الضعيفة عن تعليلها فتميل الى تصديقها والايمان بها و يتولد فيها الميل الى القيام بمثلها فيتموهذا النزع و يكثر الخلل وتفسد التربية

فعلى دعاة السيرتسم ان يبنوا بنيانهم على اساس علمي وان يكشفوا لنا ان استطاعوا سراً جديداً من اسرار الطبيعة و يأتونا ببرهانهم ان كانوا صادقين

الدكتور
امين ابو خاطر

انتهى

سكان غربي اسيا

او تركيا اسيا

ليس في ارض الله بلدٌ مثل تركيا في تعدد اقوامهِ واختلاف اجناس سكانهِ لغة وبنية وديانة وعادات . وقد خطر لعالم الماني اسمهُ لوشان (وهو استاذ علم الانسان في جامعة برلين الآن) منذ ٣٥ سنة ان يتعهَّد تلك الاقوام ويرجع كلاً منها الى اصلهِ ففاز بهذه المهمة حيث اخفق غيرهُ . فان العالم روزن وهو من اكبر ثقات زمانهِ في البحث عن ام اسيا الصغرى وسوريَّة قال في بعض كتاباتهِ ان معرفة اصل الاقوام النازلة في غرب اسيا ستبقى على الدوام لغزاً لا يحل . وقد قرأ لوشان بحثهُ هذا في الحفلة السنوية التي تعقد تذكاراً للاستاذ هكسلي بعد ان فقضى فيهِ ثلاثين سنة من الزمان . وعدَّ من سكان تركيا اسيا ٢٢ فرعاً بحث في اصل كلٍّ منها واوضح بحثهُ بالصور . وسنلخص في هذه المقالة ما كتبهُ عن كلِّ فرع من هذه الفروع

اما اسماء الفروع فهي كما يأتي : السود . الجركس . الالبان . البلغار . اليونيون . الافرنج والفنتين . اليهود . النَّجَر (التُّوَر) التركمان . اليوروق انكرد . الطهطجية . البكتاش . الانصارية . القزيل باش الدروز . الموارنة . الايرانيون . العرب . الترك . الروم . الارمن

(١) السود

هؤلاء تسهل الاقوام تمييزاً عن غيرهم بسواد بشرتهم . وقد كان اثرهم ضئيلاً في تاريخ البيض من اهل آسيا الصغرى وسورية وبناء مدنيتهم مع انهم جلبوا الى تلك البلاد من اول عصور التاريخ . ولا تكاد تجد حتى الآن بيتاً من بيوتات الموسرين الاَّ وفيه الخدم من العبيد والإماء او الجواري السود اللواتي ادخلن الحريم فولدن الاولاد من الاسمر الفاتح الى الغامق وما بينهما . وقد لا تجد مكاناً افضل لدرس اختلاط الاجناس من مدن الشرق الادنى الاَّ البرازيل . والغالب ان يسمى العبد الاسود في جنوب الاناطول عربياً . وليس في لون البشرة هناك ضمانة على ما اعتقد فان الخلاسيين يزاوجون البيض

(٢) الجركس او الشركس

بعد ما سلَّم شامل[1] هاجر نحو مليون مسلم من اهل القوقاس الى الاناطول وسورية فانزلتهم الحكومة على الرحب والسعة وقطعت لهم القطائع ولكن لما كانوا بلا زعيم يأتمرون بأمره لم تكن لهم شكيمة تكبح جماحهم فسادت الفوضى واللصوصية وقام كل رجل على اخيه فاقترضوا في معظم الاراضي التي اقطعوها . والذي زاد الطين بلة وساعد على افتراسهم ان تلك الاراضي كانت في الغالب آجاماً ومستنقعات فكانت بؤرة لحمى الملاريا ففتكت بهم فتكاً ذريعاً . اعرف مكاناً قرب « الاصلاحية » هاجر اليه نحو الف عائلة جركسية سنة ١٨٨٠ وليس فيه الآن سوى سبع منها وهي على اسوإ حال بسبب الخيات وسائر الامراض . وقلما يتزوج الجركس بناتهم للترك او العرب

(٣) الالبان او الارنؤد

يقال ان عدد الارنؤد (او الارنؤط) في تركيا اليوم يبلغ مئة الف . وكثير منهم منتظمون في الجيش وبعضهم اصحاب مناصب عالية في الحكومة وقليل منهم في السفارات والقنصليات وهم معروفون بذكائهم النادر . ومعظم « القوَّاسة » في القنصليات الاجنبية وعند كبار التجار من الارنؤد وكذلك الخانات الذين يستخدمون أجراء في الحمامات التركية . وأكثر الخانات في داخلية البلاد في ايدي الارنؤد

ومن السهل التمييز بين هؤلاء الارنؤد وسائر العناصر المسلمة التي تتألف السلطنة العثمانية منها وذلك لانهم كثيرو المباهاة بجنسهم والتمسك بلغتهم وقلما يزاوجون الغرباء عنهم فلذلك

(١) اسم زعيم قوقازي مشهور حارب روسيا زماناً طويلاً ثم اسرته في اواسط القرن الماضي

تراهم متجانسين في ملامحهم وصفاتهم الطبيعية الى حدّ لا يخطئ احد عنده في تمييزهم عن غيرهم . ومعظمهم سمر طوال القامة ذوو رؤس كبيرة مفلطحة او مستديرة

(٤) البلغار

في تركيا بضعة الوف من البلغار اكثرهم في الاستانة وبعض المدن التي على ساحل الاناطول الشمالي . ويسهل تمييزهم عن غيرهم بلسانهم وزيهم . وقلتهم منعت ان يكون لهم اثر في جيرانهم النازلين بينهم . وهذه هي حال الرومان والسرب المقيمين في الممالك العثمانية فنكتفي بالاشارة اليهم

(٥) اليونانيون

لم تغادر باخرة من بواخر شركة لويد النمسوية مدينة تريسته الى الاستانة منذ سنة ١٨٧٩ الاّ وعليها مهاجرون من اهل البوسنه والهرسك فراراً من حكم النمسا . وهم يفضلون السكنى قرب مدينة بروسه (او بورسه) . وهم يسمون في النمسا تركاً والحقيقة ان ليس في عروقهم دم تركي فانهم سلالة الصقالبة الجنوبيين الذين سكنوا البوسنه والهرسك في القرن الرابع عشر للميلاد فلما سقطت السلطنة السريبة اسلموا . ولغتهم ليست من التركية في شيء بل هي مزيج من اللسان السربي والكرواتي

(٦) الافرنج واللفنتين

يسمى المسيحيون الاوربيون في جميع الشرق الادنى فرنجاً ويسمى نسل الاوربيين فيه من فرنسويين وايطاليين على الغالب لفنتين (اي شرقيين) وهم قلما يتزاوجون اهل البلاد . ولا ريب عندي ان كثرة ما يرى من الشقر الالوان في داخلية الاناضول وسورية ليست ناشئة عن تزاوج اهل البلاد والاوربيين في الزمان الحديث بل سببها قديم

وقد اكد كثيرون ان متوسط وفيات الاولاد بين العائلات الافرنجية الشقراء في المدن الشرقية الشديدة الحر صيفاً اعظم منهُ بين السمر الالوان فاذا ثبت ذلك بالاحصاء الدقيق كان ذا شأن كبير من الوجهة العلمية

(٧) اليهود

لا يخفى ان اليهود الشرقيين لا يتزاوجون الاقوام المقيمين بينهم فلذلك لا يؤثرون طبعاً في صفاتهم الجسمانية . وهم على اقسام اكثرهم عدداً اليهود السمون سفرديم وهؤلاء نسل

اليهود الذين طردوا من اسبانيا في القرن الخامس عشر ولهجتهم فرع من الاسبانية القديمة. واثرهم كبير في تقدم السلطنة العثمانية عقليًا وماديًا

واقل منهم شأنًا بكثير اليهود الاشكنازيم او الشكناز نسل اليهود الذين هاجروا من شرق اوربا ولغتهم خليط من العبرانية العامية والجرمانية القديمة. وكان الفرق بين هذين القسمين في مبدإ الامر جغرافيًا عرضيًا ولكنهما ما فتئا يفترقان حتى امسى الاختلاف بينهما جوهريًا وحتى بات الجمع بينهما مستحيلاً. عرفت عائلة شكنازية في الاناضول تفضل الامتناع عن اكل اللحم على اكله مذبوحًا بيد جزار سفردي. وفي سنة ١٨٦٤ اتباع يهود بخارست المتشرون الى طريقة سفرديم مقبرة خاصة لكي لا يشاركوا الشكناز في شيء حتى الموت. ولم المحقق هل بين الطريقتين فروق في المعتقد. وفي معظم البلاد تجدهم اقل اختلاطًا ومعاملة بعضهم لبعض من البروتستانت والكاثوليك في اشد قرى اوربا تعصبًا ومع ذلك ليس لفريق منهما خواص طبيعية واضحة مميزة كما تتميز الاجناس المختلفة بعضها عن بعض

على ان بعض اليهود يقولون انهم «ساميون صرف وشعب مصطفى مختار» وترى بعض الصحف العلمية الحديثة تحدثك عما في اليهود من التجانس التام. ولكن هذا التجانس ليس له في الواقع وحقيقة الامر وجود الا في الكتب. فان في اليهود اناسًا ذوي عيون شهل وشعور سبطة وجعدة. وانوف شماء وفطساء وخنساء. ويتراوح الدليل الجمجمي فيهم بين ٦٥ وهو اقل ما يكون في النوع الانساني و ٩٨ وهو اعظم ما يبلغه فيه. وليس بين علماء علم الانسان من لا يزال يقول بتجانس جماجم اليهود على ما اعلم. والجميع يقولون بان معظم جماجم اليهود مقطع (مستدير) في حين ان جماجم الجنس السامي مصمتة (طويلة). ومع هذا كله فسحنا تحدث بالوجه اليهودي وسهولة تمييزه من غيره. ولكن هذه الخاصة ان صحت تسميتها خاصة تستسهل الشعور بها وتستصعب تحديدها. وقد حددها احد علماء الالمان واسمه جوزف جاكوبس بانها اتخاذ المخرين شكلاً خاصًا بهما. وقد نسب هذا الشكل اليه فسمي "Jacobs's nostrility" اي شكل المخرين على مذهب جاكوبس

ولقد اراد العالم فيشوجر ان يبرهن على ان لليهود خواص طبيعية تميزهم عن سائر اجناس الخلق فعرض مئة صورة فوتوغرافية من صور الروسيين المسيحيين واليهود على صديقين من اصدقائه احدهما روسي مسيحي والثاني روسي يهودي ولم يكن يميز المصورين شيئًا ما سواء كان ذلك في اللباس او غيره. فاصاب الاول في نصف الصور واخطأ في النصف

الآخر . واصاب الثاني في ٧٠ بالمئة منها واخطأ في الباقي . على انني لا ارى هذه التجربة شافية وافية . فقد كان اجدر به ان يعرض على صاحبيه صور يونان وارمن وايرانيين اذاً لرأى ان الاصابة تكون اقل واخطأ اكثر ولا تضح له ان ما يسميه بالطرز اليهودي ليس الا طرزاً شرقياً صرفاً

وفي تركيا ومصر يهود من غير هذين الصنفين نزلوا تلك البلاد من عهد السبي ولكنهم قليلون ولم تسنح لي فرصة لقياس جماجمهم

(٨) النجر (النَّوَر) ونوابههم

يقال ان في انحاء تركيا ٣٠ الفاً من النجر يعيشون على السرقة وعمل المناخل والغرابيل والسلال . وفيما سوى ذلك تجد عشرتهم طيبة والجمال بينهم ليس نادراً . وهم رحّل يرتادون في الشتاء السهول فيتنقلون فيها بخيامهم المصنوعة من شعر المعزى وفي الصيف الجبال . ورأيت مرة قوماً منهم ضربوا خيامهم في مكان يعلو ثمانية آلاف قدم عن سطح البحر . ولا يعرف شيء عن اصلهم وفصلهم واول عهدهم بالهاجرة وتاريخهم . فهم في الاناطول يتكلمون بالتركية وفي سورية بالعربية وبالغون في اخفاء لغتهم او لهجتهم الخاصة بهم كل المبالغة حتى انني حاولت مراراً وتكراراً ان اقتنص منهم بعض عبارات منها فذهبت مساعيّ سدًى

وقد لقيت في شمال سورية طائفة تسمّي نفسها طائفة الابطال وتتبرأ من النجر ولكنني لم اجد فرقاً جوهرياً بينها وبينهم لا في الصفات الطبيعية ولا في العادات الاجتماعية . ومن هذه الطائفة فئات تجول من مكان الى مكان رُعاةً او خُمّاراً وتحمل كلٌّ منها راية كبيرة حمراء او خضراء . وفئات دأبها الشعوذة والرقية وإبصار البخت والحواية

ولا يخالط النجر قبائل سورية والاناطول . وهم يقولون انهم مسلمون ويتسمون باسماء اسلامية ولكنهم يعاملون بالاحتقار والامتهان في كل مكان . والمسلمون في الاناطول قلما يلعنون واذا لعنوا احداً او شتموه فمن جملة شتائمهم قولهم « تشنجين » اي يا نجري

(٩) التركمان

التركمان الحقيقيون اي اهل غربي تركستان نادرون في الاناطول ولم ألقَ منهم احداً في سورية . وهم يرتحلون من مكان الى مكان بيتاً او بيتين معاً . ويسهل تمييزهم عن غيرهم ولو عن بعد بنوع جمالهم التي يقتنونها فانهم يقتنون الجمل ذا السنامين في حين ان

غيرهم من قبائل اسيا الصغرى فتنتمي جميعاً الى السلام او الهجين . رأيت مرة عائلة تركمانية في نيسيا الشرقية جاءت من نواحي سمرقند بتركستان وكان قد مضى عليها في ارض غربتها اربع سنوات وقالت لي انها تنوي الرجوع الى الاستانة ثم تنقلب عائدة الى وطنها وقدرت ان ذلك يكون بعد خمس سنوات اوست . ولبعض التركمان عيون كعيون اليابانيين والصينيين . ورؤسهم صغيرة مستديرة وهم قصار القامة قلما تزيد قامة احدهم على ١٦٠ سنتيمتراً . ولا يخالطون الذين ينزلون بينهم

(١٠) اليوروق

اليوروق قبيلة من قبائل الاناطول الرحّل وهم اكثر عدداً من التركمان بكثير . ومعنى الكلمة رحالة او جوّالة . وقد سميت جميع القبائل الرحّل يوروق فافضى ذلك الى خطإ كثير . اما اليوروق الحقيقيون فيتميزون بشويه رؤسهم تشويهاً صناعياً وطول جماجمهم . ولا يعرف وطنهم الاصلي . وهم يتكلمون التركية ولم يُهتدَ حتى الآن الى اثر من آثار لسانهم الاصلي . وقد ارتأيت من قبل انهُ لا يبعد ان تكون لهم صلة قربى بالنجر لما بين الفريقين من اوجه الشبه الطبيعي . ثم خطر ببالي بعد ذلك انهُ لا يبعد ايضاً ان يكون اسلامهم هو سبب ارتقائهم الادبي ودعتهم ومشابرتهم على العمل حتى اشتهرت نساؤهم بعمل البسط والسجاد . ولكن هذا مجرد رأي عنّ لي اذ لا يبعد ايضاً ان تكون مشابهتهم للنجر عرضية اتفاقية . وعسى ان احداً غيري يكون اكثر توفيقاً مني في العثور على تقاليد وحكايات وبقايا من لغتهم القديمة يهتدى بها الى حقيقة اصلهم

وبينهم وبين الذين يساكنونهم شيءٌ من التحاسد حال حتى الآن دون تزاوجهم

(١١) الكرد

كردستان بلد الاكراد ارض جبلية الى الجنوب الشرقي من جبال ارمينية تبلغ مساحتها ضعفي بلاد اليونان . ومعظم الجزء الشمالي الغربي منها عثماني والجزء الجنوبي الشرقي ايراني . وقبائل الاكراد او عشائرهم كثيرة لم تتحد سياسياً فيما مضى بل كان كلٌّ منها خاضعاً لزعيم مستقل حتى جاءت تركيا في القرن الماضي فكسرت شوكتهم بمساعدة الجنرال مولتكي الكبير وكان حينئذٍ ضابطاً في جيش بروسيا

ولا يعلم متى اتخذت عشائر الاكراد كردستان موطناً لها ولعلّ تاريخ اشور وما يستخرج من الدفائن والاحافير في اعالي دجلة والفرات يميط اللثام عن هذا السرّ في مستقبل

كرديان من اهل نمرود طاغ

صورتهما عن عُرض　　صورتهما مواجهة

مقتطف يوليو ١٩١٦

امام الصفحة ٢٦

الايام . اما ما عدا ذلك عن الاكراد فهو ان لغتهم آرية اي شقيقة اللغات الاوربية المشهورة ورؤسهم مصنحة وعيونهم زرق وشعورهم شقر على الغالب . وقد فحصت ثلاث فئات من الاكراد فئة مؤلفة من ١١٥ رجلاً قرب قره قوش . وثانية من ٣٩ رجلاً في تمرود طاغ . وثالثة من ٨٠ رجلاً قرب سنجارلي . فوجدت في الاولى ٧١ رجلاً من البيض الناصعين (زانثوكروي) وفي الثانية ١٥ . وفي الثالثة ٣١ . اي ان البيض الناصعين بلغوا ٥٣ في المئة من المجموع (٢٢١) . وتراوح الدليل الجمجمي في الاولى بين ٧١ و٧٨ . وفي الثانية بين ٧٢ و٧٨ . وفي الثالثة بين ٧٤ و ٨٠

اما اكراد قره قوش وتمرود طاغ فيعيشون في عزلة عن الناس ولم أجد بينهم سوى تاجرين صغيرين من الارمن . واما اكراد سنجارلي فيسكنون على مقربة من قرى المسلمين والارمن . والمشهور انهم يخطفون بنات الارمن احياناً ويتخذونهم زوجات وكثيراً ما يتزوجون من المسلمين العثمانيين فاتوا لذلك ابعد عن عنصرهم الاصلي من الاكراد الآخرين

هذا فيما يخص الاكراد العثمانيين او الغربيين . اما الاكراد التابعون لايران اي الشرقيون فربما كان عدد السمر فيهم اكثر منهُ في العثمانيين ورؤسهم اكثر استدارة

ولغة الاكراد كثيرة اللهجات ولكن يمكن قسمتها الى قسمين شرقي وغربي وكلاهما آريٌ كما تقدم القول ذو صلة بالفارسية الحديثة والهندستانية . ومن رأيي ان الاكراد متشعبون من الجنس الآري او الفرع الذي يقطن منهُ شمال اوربا فالجرمان ابناء عمومتهم . ومما يؤيد ذلك ولا يمكن ان يكون مجرد اتفاق ان على بضعة اميال من حدود كردستان شمالاً بلدة بوغاز كوى عاصمة المملكة الحثية القديمة حيث اكتشف وتكلر سنة ١٩٠٨ آثاراً عليها كتابات حثية تلي بها ملوك حثٌ آلهة الآريين مثرا وفارونا واندرا ونسانيا واستمطروا الرحمة منهم كما استمطروها من آلهة حثٌ . وتاريخ هذه الكتابات سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد . وقد سمّي فيها ملوك حثٌ وقومهم « هاري » . وفي كتابات فارسية وجدت بعد ذلك بتسعة قرون سمّى زركسيس ودار يوس نفسها « هاريا » اي آريين

لذلك يقال ان الكرد سلالة غزاة الآريين وقد حافظوا على شكلهم ولغتهم ما يزيد على ٣٣٠٠ سنة